

﴿ إِنَّ رَبَّ الْخَلْقِ جَمِيعاً ﴾



﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَتَعَالَى هُوَ الرَّزَّاقُ، فَالثَّمَرَةُ الَّتِي تَأْكُلُهَا إِذَا مَا تَكُونَتْ وَنَمَّتْ بِقُدْرَةِ إِنَّ رَبِّكَ وَتَعَالَى هُوَ الرَّزَّاقُ، وَلَمْ يَكُنِ الْفَلَاحُ إِلَّا أَنْزَهَ كَانَ وَسِيلَةً لِذَلِكَ، وَهَذِهِ الْغَابَاتُ تَنْمُو أَشْجَارَهَا وَتَبِسَقُ دُونَ فَلَاحٍ، وَالْحَيْوَانُ الَّذِي تَذْبِحُ هِيَ إِنَّ رَبَّ الْخَلْقِ لِتَكُونَهُ وَوَلَادَتِهِ وَنَمْوَهُ وَلَمْ يَكُنْ لِلرَّاعِي دُورٌ سَوَى أَنْزَهَ كَانَ وَسِيلَةً لِذَلِكَ، وَهَذِهِ الْحَيْوَانَاتُ كُلُّهَا فِي الْبَرِّيَّةِ تَكَاثِرُ وَتَنَاسُلُ دُونَ رَاعٍ مِنَ النَّاسِ لَهَا﴾.

فالطعام الذي يجلبه الأب لأولاده لم يكوّنه أو ينمّيه الفلاح إنما نَمَّا وأثْمَرَ بِقُدْرَةِ إِنَّ رَبَّكَ وَتَعَالَى وَمُشَيْئَتِهِ، ولو شاءَ لم يُثْمِرْ. وكم سمعنا عن الجوانح التي تصيبُ المزروعات كالآفات الزراعية والفيضانات والجفاف، ولو كان الأمر بيد الفلاح وقدرته لما شاءَ ذلك؛ قال إِنَّ رَبَّكَ وَتَعَالَى: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ دُوْلُ الْقُوَّةِ الْمُمَتَّلِّينَ) (الذاريات/ 58).

إنَّ رَزْقَ إِنَّ رَبَّكَ لِعِبَادَتِهِ يَتَمَثَّلُ فِي خَلْقِ الأَسْبَابِ لِلرِّزْقِ وَتَيسِيرِهَا لِلْخَلْقِ وَإِبْعَادِ الْمَوَانِعِ مِنْ تَحْصِيلِ الرِّزْقِ. إِنَّ رَبَّكَ كَانَ الْأَمْرُ مِنْ أَوْلَى تَكْوِينِ الرِّزْقِ إِلَى الْحَمْوَلِ عَلَيْهِ كَانَ بِمُشَيْئَةِ إِنَّ رَبَّكَ وَتَدْبِيرِهِ؛ فَالْوَاجِبُ عَلَى إِنَّ رَبَّكَ أَنْ يَشْكُرَ إِنَّ رَبِّكَ وَتَعَالَى عَلَى مَا يُكْرِمُهُ مِنَ الرِّزْقِ الَّذِي بِهِ حَيَا تَهُ. قَالَ إِنَّ رَبَّكَ وَتَعَالَى: (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُّوا مِنْ طَيْبَاتِ مَا رَزَقَنَا كُمْ وَأَشْكُرُوا لِنَّا لَتَّهُ إِنَّ كُنْدُتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) (البقرة/ 172).

- إِنَّ رَازِقَ الْخَلْقِ جَمِيعاً :

إنَّ التَّأْمِلَ فِي الْمَخْلُوقَاتِ الْمَحِيطَةِ بِإِنَّ رَبِّكَ مِنْ حَيْوَانَاتِ وَطَيْورَ وَحَشَراتِ يَرَى أَنَّ لَكُلَّ مِنْهَا نَظَامًا غَذَائِيًّا فَرِيدًا تَتَعَدَّ أَهْلَهُ إِلَى غَيْرِهِ. إِذْهَا تَنْطَلِقُ بِدَافِعٍ فَطَرِيٍّ إِلَى الْبَحْثِ عَنِ غَذَائِهَا الَّذِي تَصلُّ إِلَيْهِ بِيُسْرٍ وَسَهْلَةٍ لِتَجَدُّ أَنَّ الْكَائِنَ الْوَاحِدَ يَتَغَذَّى عَلَى نَفْسِ الْغَذَاءِ الَّذِي يَتَناولُهُ أَفْرَادُ جَنْسِهِ وَالَّذِي يَحدِّدُ لَهُ هَذَا النَّوْعُ مِنَ الْغَذَاءِ دُونَ غَيْرِهِ هُوَ الْفَطَرَةُ الَّتِي فُطِّرَ الْخَلْقُ عَلَيْهَا. قَالَ إِنَّ رَبَّكَ وَتَعَالَى: (وَمَا مِنْ

دَابْسَةٌ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا) (هود/ 6).

- ۱۰ يرزق في كل لحظة وحين:

يتحمل الإنسان مرارة الجوع والعطش حتى إذا وجد حاجته سارع ليعبر منها ويُستَرِّي. وقد يحمل الجوع الماضي أو الشر الحاضر أو الخوف من المستقبل المبني على ضعف اليقين قد يحملُ المرءَ على التزوّد مما يحتاج إليه. وقد يزيدُ حرصُهُ ليسوّلَ له أن يدّخر ويبخلَ على غيره؛ وقد فاته أنَّ الذي يرزقه اليوم قادر جلٌّ وعلا على أن يرزقه غداً وأنَّ الإنسان طالما أنَّ له رزقاً مكتوباً فهو باقٍ وهي وأنَّ الإنسان لا يموت من انقطاع الرزق وإنَّما يكون من انقضاء رزق نفسه.

وليس من الضرورة أن يكون ما في البيت هو رزقٌ لك وأنت ترى أنَّ الذي يموت قد يكون في بيته من الطعام ما يكفيه مدّة ولكن ما كتب له من الرزق قد استنفذ.

لقد جعل الله تبارك وتعالى مَعْلَمَ مذكُوراً بهذه الحقيقة حقيقة التوكل على الله في الرزق في هذه الدواب التي تملأ الأرض حولنا في باطنها وعلى ظهرها وفي جوّها؛ لا تحمل رزقها أينما ذهبت، كما يفعل الإنسان، ثقةٌ منها بأنَّ الله تبارك وتعالى كما رزقها سبقاً سيرزقها لاحقاً. قال الحق جلٌّ وعلا: (وَكَانَ يَرَنُ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِنَّمَا كُمْ) (العنكبوت/ 60).

- لا رازق مع الله تعالى:

يستبشر الفلاحُ كثيراً حينما يرى المطر الغزير يهطلُ على أرضه إذ يرجو بعد ذلك محصولاً وافراً يضمن له عاماً خصباً. ويلفت القرآن الكريم نظر الإنسان إلى أنَّ السماء وما ينزل منها، والأرض وما يخرج منها إنَّهما هما إِلا وسائلٌ ووسائلٌ لرزق الله تعالى، فلا تقف المسألة عند حدود مطرٍ ينزل، وأرضٍ تنبتُ، وإنَّما الأمر غير ذلك. من جعلَ هذا الماء المالح الملوث في البحر يتبخّر عذباً نقياً ويهطلُ صيفياً نافعاً؟ ومن جعل في هذه الأرض الميتة القدرة على امتصاص الماء وإخراج النباتات؟ إنَّه الله تعالى الخالق الرزاق.

فالله تبارك وتعالى يرزق الخلقَ وحدَهُ، لا رازقٌ سواهُ رازقٌ معه؛ لأنَّه تعالى، جلَّت قدرَاتهُ لا يعجزهُ شيءٌ في الأرض ولا في السماء حتى يحتاج إلى من دونه. قال الله تبارك وتعالى: (هَلْ مِنْ خَالقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) (فاطر/ 3).

وإذا كان الأمر أنَّه لا رازقٌ مع الله تعالى، فكذلك يُمْدَعُ من رزق الله أحد. فكما أنَّه لا يقدرُ أحدٌ أن يأتينا برزقٍ لم يكتبنا الله لنا، فكذلك لا يقدرُ أحدٌ أن يمنعَ عذماً رزقاً قد كتبه الله تعالى لنا. ويفيد هذا ما ورد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "واعلم أنَّ الأُمّةَ لو اجتمعوا على أن ينفَعوكَ بشيءٍ لم ينفعَوكَ إِلا بشيءٍ قد كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، ولو اجْتَمَعوا على أن يضرُوكَ بشيءٍ لم يضرُوكَ إِلا بشيءٍ قد كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ".

- الأمر بطلب الرزق من الله تعالى:

وحيث تبيّن أنَّ الرازق هو الله تعالى وأنَّ المخلوقات ما هي إِلا وسائل أو وسائل لتحصيل الرزقة؛ فلابد للإنسان من التماس الشيء من مصدره وهو هنا أن يطلب من الله تبارك وتعالى أو يرزقه. قال الله تبارك وتعالى: (فَآبْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاعْكُرُوا لَهُ) (العنكبوت/ 17). فيضع المرء في ذهنه أنَّ الله تبارك وتعالى تكفل برزقه، وضمِنه له يدعوه ربُّه تبارك وتعالى أن يرزقه.

إنَّ الإيمان بِأَنَّ اللَّهَ تَبارك وَتَعَالَى هُوَ الرَّزاقُ يسمُّ بِالإِنْسَانِ وَيُرْتَقِي بِرُوحِهِ عَنِ التَّعْلُقِ بِالْوَسَائِطِ
وَالْأَسَابِيبِ (كَالْوَالِدِ الْمُعِيلِ، وَالْعَمَلِ فِي الزَّرَاعَةِ مثلاً)، وَلَا يَنْتَرِ إِلَيْهَا بِاعْتِبَارِهَا رَازِقَةٌ لَهُ وَإِنَّمَا هِيَ
مَرْزُوقَةٌ مُّثْلِهِ وَوَاسِطَةٌ لِأَنَّ يَرْزُقَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِوَاسِطَتِهِ، وَلَا يَعْطِيَانِ مِنَ الْأَهْمَمِيَّةِ أَكْثَرَ ذَلِكَ فَلَا يَخْضُعُ لَهَا وَلَا
يَتَذَلَّلُ إِلَيْهَا بِاعْتِبَارِهَا نَافِعَةٌ وَمَصْدِرٌ رَزْقٌ وَإِنَّهُ لَا يَخْضُعُ وَلَا يَتَذَلَّلُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى. فَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ
الْوَسَائِطُ قَدْ دَعَتْهُ إِلَى مُخَالَفَةِ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، لَا يَسْتَجِبُ، وَإِنْ هَذَهُ دَاهِرَةٌ بِقَطْعِ الْمَالِ وَالطَّعَامِ وَخَلَافَهُ،
لَا يَلِينُ لِأَنَّهُ يُؤْوِلُ إِنْ كَانَ لَهُ رَزْقٌ فَسِيَّاطِيهِ عَبْرُ هُؤُلَاءِ أَوْ عَبْرُ غَيْرِهِمْ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ رَزْقٌ فَلَمْ
يَفْتَهْ شَيْءٌ فَيَعِيشُ الْإِنْسَانُ فِي كَرَامَةِ الْعَبُودِيَّةِ وَهُوَ وَحْدَهُ وَلَا يَخْضُعُ لِاستِعْبَادِ الْخَلْقِ. ▶